رسالة حي بن يقظان

مع شرحها لابن سينا

- ٢ -

(فبينا نحن نتطاوف إذ عنّ لنا شيخ بهيّ قد أوغل في السنّ [ورقة ٨٩ الف] وأحنت عليه السنون وهو في طراءة العزّ . لم يهن منه عظم ولا تضعضع له ركن . وما عليه من المشيب إلاّ رُواء من يشيب .)

قوله نتطاوف ، أراد به ما توجهوا إليه من الحركة العقلية[1] ، وجولان النفس لطلب المعقولات وتأملها .

وقوله : عنّ لنا شيخ بهيّ : أراد به ما يعرض لقوة العقل عند التأملات من هداية العقل الفعّال لها وإفاضة نوره عليها . وأراد بالشيخ البهيّ العقل الفعّال الذي هو الهادي بالحقيقة للقوة العقلية التي تتصوّر المعقولات على ما عرفته في الموضع الذي بيّن فيه ، ودلّ بقوله الشيخ البهيّ على تقادم عهده وطول بقائه وأبهة شيخوخته ، وعلى هذا المعنى بعينه دلّ بقوله « قد أوغل في السن وأحنت عليه السنون » .

وهو في طراءة العزّ أي لم يغيره الزمان بل حاله ثابت دائم لا يتغير كما يتغير العنصريات لبراءته من مخالطة العنصر وتنزهه[2] عن[3] خروج من قوة الى الفعل .

لم يهن منه عظم ولا تضعضع له ركن أي لم تنقص قوة من قواه ، ولم يعرض له ضعف عن ما لم يزل عليه من خاص فعله كما ينقص بالضرورة العنصريات

---

(١) م و ص : التعقلية . (٢) ب : تنزيهه . (٣) م و ص : من .

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويعرض لها الضعف عن حالتها الأولى . وأشار بذلك كله الى عقلية المجرّد بالفعل وعدمه السببَ الموجبَ للتغير .

وما عليه من المشيب إلا رُواء من يشيب : دلّ به على أنه مع بعده عن النقصانات (١) التي تحدث لمن يأتي عليه الزمان الطويل من الكائنات ، فقد سعد بما يوجبه تقادم العهد في المشايخ من البهجة والبهاء وحصول الكمال (٢) .

(فنزعت الى مخالطته (٣) . وانبعث من ذات نفسي متقاض لي بمداخلته ، ومحاورته . فملت برفقائي اليه . فلما دنونا منه بدأنا هو بالتحية والسلام وافترّ عن لهجة مقبولة .)

(التفسير : قوله فنزعت الى مخالطته أي عرفت المناسبة التي بين العقل الإنساني وبين العقل الفعّال [ورقة ٨٩ ب] فدعتني الى مراعاتها وحفظها .

وانبعث من ذات نفسي متقاض بمداخلته ومحاورته ، أشار الى ما في طباع العقل بالقوة من الميل الى الخروج إلى الفعل بالاتصال بالعقل الفعال إذ (٤) كان كمال العقل الانساني الذي هو بالقوّة يتعلق باتصاله بالعقل الفعال ، وفيضان النور من جهته عليه ، وذلك يحصل بما دلّ عليه بقوله « مداخلته ومحاورته » ومعناه الإقبال عليه والانصراف عن سائر القوى اليه .

فملت برفقائي اليه أي أخرجت هذه الحاجة الطبيعية التي للعقل الإنساني من القوة الى الفعل . قوله فلما دنونا منه أي توجهنا اليه وتوفرنا بالكلية عليه .

بدأنا هو بالسلام والتحية ، + أي أنه وان كان الإقبال منا عليه يكون (٥) أولاً ، فان الافاضة (٦) التي دلّ عليها بقوله « السلام والتحية » + تكون منه ابتداءً . فان الاستعداد يكون من المنفعل والتكميل يكون من الفاعل .

(١) م و ص : من النقصان . (٢) أيضاً : حب . (٣) أيضاً : مخاطبته .
(٤) ب : واذ . (٥) غير موجود في م و ص . (٦) م و ص : الافادة .
+ ... + بالهامش في ب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وافترّ عن لهجة مقبولة. أي كان الذي ألقاه إلينا من التعريف الروحاني الذي دلّ عليه بقوله «لهجة» كان لهجة وكلاماً مقبولاً أي تعريفاً مناسباً حقاً وصدقاً مطابقاً لما عليه وجود ما عرفنا إياه . فإن معنى الحق هو هذا والصدق هو هذا .

(وتنازعنا الحديث حتى أفضى بنا إلى مسائلته عن كنه أحواله ، واستعلامه سننه وصناعته ، بل اسمه ونسبه وبلده .)

التفسير : قوله وتنازعنا الحديث أي اتصل منا الاستمداد ومنه الإفاضة والتعريف . حتى أفضى بنا الى مسائلته عن كنه أحواله أي نزعنا الى تحقيق ماهيته وسير أحواله عن كونه مجرداً عن المادة أو مخالطاً لها بوجه . فان كنه أحوال الشيء هو حقيقته التي يكون بما هو ما هو .

واستعلامه سننه .... بلده أي وأردنا مع معرفة كنه حقيقته الذاتيه أن نعرف أيضاً الأشياء العرضية له الخاصية به وغير الخاصية . وأراد [ورقة ٩٠ الف] بقوله نسبه وصناعته الأمور التي تجري مجرى العرضيات ، إذ كان الاسم دلالته دلالة الحد ، إلاّ أن دلالة الاسم على الشيء دلالة مجملة ودلالة الحد دلالة مفصلة .

(فقال أما اسمي ونسبي فحيّ بن يقظان ، وأما بلدي فمدينة بيت المقدس ، وأما حرفتي فسياحة في أقطار العوالم حتى أحطت بها خبراً ، ووجهي الى أبي وهو حيّ وقد عطوتُ منه مفاتيح العلوم كلها فهداني الطرق السالكة الى نواحي العالم حتى زويتُ بسياحتي آفاق الأقاليم .)

قوله أما اسمي فحي ، ابتدأ بما دل على حقيقته .

وقوله حي أراد به ما جبل عليه من العقلية المجردة وصدور ما بعده عنه . إذ كان معنى الحيّ <ما> يتعلق بالحسّ والحركة فجعل الحس مشاراً به الى العقلية وجعل الحركة مشاراً بها الى وجود ما بعدها[1] عنه .

(١) ب : ما بعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن يقظان ، دلّ بقوله على أن وجوده ليس هو بذاته بل هو من غيره ، إذا كان وجود الابن بوجه ما عن الأب . وإن ذلك الغير الذي وجوده عنه هو أجلّ حالاً منه . إذ كان أجلّ أحوال الحيّ أن يكون يقظاناً إذ الحي يحتمل أن يكون نائماً وأن يكون يقظاناً وحال اليقظة منه أجلّ من حال النوم إذ النوم أشبه بالقوة واليقظة أشبه بالفعل ، + فدلّ بذلك على أنه كامل على الاطلاق لا يشوبه ما بالقوة + بوجه من الوجوه .

وقوله أما بلدي فبيت المقدس ، أراد بالبلد ما يجري مجرى [1] الجنس إذ كانت ..... (*) < أراد ببيت المقدس العالم العقلي المقدس عن التدانس بأحوال الحسيات والعنصريات ، وأراد بالسياحة في أقطار العوالم ما يتبع كنه حاله من تعقل ما بعده من الموجودات ، التابع لتعقله للمبادي الأول ولتعقل ذاته .

وقوله ووجهي الى أبي أي كنه إرادتي وحقيقة غرضي معرفة أبي . ودلّ بقوله «أبي» على مبادئه الأول من الحق الأول والعقول الفعّالة التي هي متوسطة بينه وبين الأول الذي دلّ عليه بقوله فهو حيّ .

قد عطوت منه مفاتيح العلوم أي إني مستمد علومي من أبي . وأشار بذلك الى أن تعقله ليس هو له من ذاته بل من مبدئه .

ودلّ بقوله مفاتيح العلوم للجنس من التعقل الذي له وهو التعقل المبدئي الخلاّق للصور الفعّال لها لا الذي يكون مفصلاً مرتباً نفسانياً إذ كان هذا النوع من التعقل هو الخاص بتلك الأمور كما قال سبحانه «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو» .

+ ..... + موجود في مخطوط ب و ك فقط . (١) مه و ص : معنى .

(*) لقد سقطت عن هذا الموضع عبارة طويلة من الشرح والمتن . والأغلب انها لم توجد في النسخة الأصلية التي نسخ منها مخطوط بودليانا . وقد نقلت ما وجدت في نسختي مهرن وصبري ومخطوط كلكتة مما يناسب الموضع وقد أشرت الى هذه الاضافة في التمهيد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حتى زويتُ الخ أي اكتفيت بهذه الهداية عن السياحة الزمانية ، بل كأنّ الموجودات كلها جمعت لي جمعاً حتى عرفتها دفعة من غير مصير من شيء منها الى شيء بل مجموعاً مجملاً استغنى فيه عن التفصيل .

(فما زلنا نطارحه المسائل في العلوم ونستفهمه غوامضها ، حتى تخلصنا الى علم الفراسة ، فرأيت من إصابته فيه ما قضيت له آخر العجب ، وذلك أنه ابتدأ لمّا انتهينا الى خبرها . فقال : إن علم الفراسة لمن العلوم التي تُنتقد عائدتها نقداً فيعلن ما يسرّه كل من سجيته فيكون تبسطك اليه وتقلصك عنه بحسبه ، وإن الفراسة لتدلّ منك على عفو من الخلائق ، ومنتقش من الطين ، وُمواتٍ من الطبائع ، واذا مسّتك يد الاصلاح أتقنتك ، وإن خرطك العار في سلك الزلة انخرطت .)

فما زلنا .... علم الفراسة [1] أي علم المنطق وسماه علم الفراسة إذ كانت هي معرفة الأمر الخفيّ الغير المعلوم من أحوال الشيء بتوسط أشياء ظاهرة من أحواله كذلك علم المنطق يتوصل به من أشياء ظاهرة هي المقدمات إلى أشياء خفية هي المطلوبات والنتائج .

فرأيت من اصابته .... وموات من الطبائع ، أشار به الى ما يحصل للإنسان بقوة هذا العلم من تميز الصدق من الكذب والحق من الباطل والى ما جُبل عليه الإنسان من الاستعداد للعلوم والمعارف والتهيؤ لاكتساب الأخلاق الحميدة .

واذا مسّتك يد .... انخرطت < (*) .. أشار به الى أنه مع ذلك مستعد للرذائل وأنه يصير الى كل واحد من الحالتين أعني حالتي الفضيلة والرذيلة بموجب الدواعي من العادات والأفعال وغير ذلك على ما شرح في موضعه .

(١) ك : وأراد بعلم الفراسة علم المنطق لأن الفراسة هي معرفة الأمر الخفي من أحوال الشيء بتوسط أشياء ظاهرة ، وكذلك المنطق يتوصل به من المقدمات الى النتائج .
(*) هنا ينتهي ما أضفته من م و ص و ك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(وحولك هؤلاء الذين لا يبرحونك [١] إنهم لرفقة سوء [ورقة ٩٠ ب] ولن تكاد تسلم عليهم [٢] ، وسيفتنونك أو تكتنفك عصمة وافرة .)

وقوله وحولك .... وافرة : أشار به الى القوى البدنية التي لا تفارق القوة العقلية التي هي الإنسان بالحقيقة وهي المخاطبة [٣] وحدها من العقل الفعّال .

وقوله وحولك : ما دامت مدبرة للبدن متعلقة به التعلق المعلوم .

ودلّ بقوله إنهم لرفقة سوء على أن أحوالهم وأغراضهم ومقاصدهم مباينة منافية لأحوال القوة العقلية ، فان كل مناف لشيء فهو شيء بالقياس اليه .

وقوله ولن تكاد تسلم عليهم أي لا تخلص الى الفعل الخاص بك مادمت [٤] معهم وذلك أن جميع التعقلات الانسانية مشوبة بالتخيلات . لا يكاد يتخلص تعقل من شوب يتخيل .

وأراد بقوله وسيفتنونك : ان القوة العقلية ممنوّة بالهيج والاضطراب ومعرضة للاختلاط بسائر القوى واتباعها في كثير من الأحوال لها .

أو تكتنفك عصمة وافرة أي الا أن تعصم عصمة تامة بما تكتسبه من قوة مستجدة تقوى بها على قمها ودفعها والترأس عليها واستتباعها إياك في سائر أفعالها كلها وهذه القوة هي قوة الحكمة العلمية والقوة العملية .

(أما هذا الذي أمامك فباهت [٥] مهذار يلفق [٦] الباطل تلفيقاً ويختلق الزور اختلاقاً [٦] ، ويأتيك بأخبار ما لم تزوّده قد درن حقها بالباطل وضرب صدقها بالكذب ، على أنه هو عينك وطليعتك ، ومن سبيله أن يأتيك بخبر ما غرب عن جنابك وعزب عن مقامك . وإنك لمبتلى بانتقاد حق ذلك من باطله والتقاط صدقه من زوره . واستخلاص صوابه من غواشي خطائه ، إذ لا بدّ لك

(١) مهو ص : لا يبرحون عنك . (٢) مهو ص : منهم . (٣) أيضاً : المخاطب .
(٤) ب : ما دامت . (٥) ك : وأراد بالباهت الذي أمامه من قوة التخيل .
(٦) مه : يلفف .... تلفيفا .... ويختلف .... اختلافا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منه . فربما أخذ التوفيق بيدك ، ورفعك [ورقة ٩١ الف] عن محبط الضلالة . وربما أوقفك التحير ، وربما غرّك شاهد الزور .)

أما هذا الذي أمامك أشار به الى قوة التخيل ووصفها بالبهتان لما يحكم به من الباطل ، وبالهذر لكثرة ما يتصرف فيه من أحكام غير مفيدة ولا حق .

ودلّ بقوله يلفق الباطل .... اختلاقاً ، على ان من سوسها وطبيعتها هذا الفعل وذلك أنها مجبولة على تشبيه الشيء بالشيء من دون أن يشبّهه كما يشبّه المعقول بالمحسوس وعلى محاكاة الشيء من غير أن يكون ما يحاكيه به مثالاً له كما تحاكي حرارةً تحدث في البدن مثلاً بالأشياء الحمر ، وسوداء تحصل فيه بالأشياء السود القبيحة المنظر ، وفزعاً يعرض للنفس بصورة الأشياء الهائلة . ويأتيك بأنباء ما لم تزوده أي ان أحكامها والأخبار التي يخبرك بها ليس مما يطابقها من خارج ما أخبر به عنها .

ودلّ بقوله قد درن حقها بالباطل وضرب صدقها بالكذب على أنها وإن كان في جملة أحكامها ما هو حق ومطابق لما عليه الأمر الذي حكم بأنه لا يخلو البتة حقها من باطل يشوبه . ولا صدقها من كذب يشينه ، ولا يكاد يخلص أحكامها من الباطل والكذب .

ودلّ بقوله على أنه عينك وطليعتك على الحس المشترك وهو القوة التي تتأدى اليها المحسوسات كلها الذي كأنه هو ، وهذه القوة شيء واحد . وهذه القوة بالحقيقة عين وجاسوس وطليعة للنفس تأتيها بخبر ما غرب عنها من جنابها وغرب عنها من مقامها أعني المحسوسات وأحوالها إذ كانت بعيدة عن مقام القوة العقلية ، فاذا انتهى من جهة هذه القوة تصرفت فيها التصرفات التي توجبها أحكامها من تصيّد الكليات منها واستنباط الماهيات بتوسطها .

وانك لمبتلى أراد به أن من فعل القوة تليين صدق ما يورده الحس المشترك والتخيل من كذبه واجتباء صدقه وصوابه للتصرف فيه والتمويل عليه ، وتزييف كذبه وخطائه فيرده ولا يعتمد عليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إذ لا بدّ لك منه أي ان القوة [ورقة ٩١ ب] العقلية محتاجة اليها وإلى ما يورده عليها ، والاستعانة بها في خاص أفعالها .

وأشار بقوله فربما أخذ التوفيق بيدك الى الأحوال التي تعرض للنفس من جهة هذه القوة ، وذكر أقسام هذه الأحوال ، وذلك أنه اما أن يقوي النفس على السلامة من ضلالة هذه القوة فتسلم لها قوتها الخاصة بها ، واما أن يحصل من جهتها على تحير وقلة اهتداء الى الحق منها ، واما أن تعجز عن ذلك عجزاً ويفتر بها اغترار فيعتقد في باطلها أنه حق ، وفي كذبها أنه صدق .

(وهذا الذي عن يمينك أهوج اذا انزعج هائجه ، لم يقمعه النصح ، ولم يطأطئه الرفق ، كأنه نار في حطب ، أو سيل في صبب ، أو قرم مغتلم ، أو سبع ثا كل .)

قوله وهذا الذي .... أهوج ، أشار به الى القوة الغضبية .

وأراد بقوله عن يمينك الإشارة إلى < أن > رتبة الغضب أعلى من رتبة (*) القوة الأخرى الشهوانية التي وصفها بأنها على اليسار ، إذ كان اليمين أقوى من الشمال ، وذلك أن من سوسها ما وصفها به من الهوج وهو ركوب الرأي من غير يقين (١) ولا معرفة وإتيان ما يتفق من دون تدبير ولا تأمل (٢) . ودل بقوله إذا انزعج هائجه لم يقمعه النصح ولم يطأطئه الرفق على أن هذه القوة شديدة الشكيمة عظيمة الشوكة إذا اهتاجت صعب الأمر في ردها الى الواجب بنصيحة أو برفق . وشبهها في حالتها هذه بنار تلتهب فيشق إطفاؤها ، وبسيل في صبب ينحدر بقوة فلا يوجد سبيل الى ردّه ودفعه ، وبفحل قرم مغتلم فتهيم على وجهه في طلب الأنثى لا يصدّه عن ذلك صاد . وسبع ثا كل أي لبوة تفقد أولادها ، فتنبعث في طلبهم فلا يقاومها مقاوم ولا يدفع وجهها (٣) دافع .

(*) ك : أعلى رتبة من الأخرى . (١) ب : يمين . (٢) أيضاً : الا" تأمل
(٣) م و ص : في وجهها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(وهذا الذي عن يسارك فقذرٌ شرهٌ قرمٌ شبقٌ لا يملأ بطنه إلاّ التراب . ولا يسدّ غرته إلاّ الرغام [1] ، لعقة لحسة طعمة [ورقة ٩٢ الف] حرصة ، كأنه خنزير أجيع ، ثم أرسل في الجلّه .)

قوله وهذا الذي عن يسارك : يشير به الى القوة الشهوانية ووصفها بما طبعت عليه من القذارة والقرم والشبق أي شدة الميل الى المنكوح والمطعوم .

ودل بقوله لا يملأ بطنه إلاّ التراب ولا يسدّ غرته إلاّ الرغام على أنها لا تفتر < عن > من [2] خاض فعلها من موجبات القرم والشبق على طول ما تباشره بل هي دائمة العمل الخاص بها .

وقوله لعقة لحسة وحرصة [3] وطعمة : أراد به أصناف ما يصدر عنها على سبيل ما هي منطبعة بها ودوام صدور تلك الأصناف عنها من اللعق واللحس والطعم والحرص ، وشبهها بخنزير أجيع ، ثم أرسل في الجلّه . بتحمله الجوع الشديد على الاستعصاء على من يريد أن يمنعه عن ذلك .

(ولقد ألصقتَ يا مسكين ! بهؤلاء إلصاقاً ، لا يبريك عنهم إلاّ غربة تأخذك الى بلاد لم [4] يطأها أمثالهم ، واذلات حين تلك من غربة [5] ولا محيص لك عنهم . فلتُطِلهم يدُك ، وليغلبهم سلطانك ، وإياك أن تقبضهم زمامك ، أو تسهل لهم قيادك ، بل استظهر عليهم بحسن الإيالة ، وسمهم سوم الاعتدال ، فانك إن مننت لهم سخرتهم ولم يسخروك ، وركبتهم ولم يركبوك .)

وقوله ولقد ألصقت .... إلصاقاً : أراد بذلك ما عليه القوة العقلية من شدة ملازمة هذه القوى لها والضرورة في مجاورتها إياها لأجل البدن ولأنه لا مبرء [6] لها ولا مخلص منها ما دامت مع البدن ، بل إنما يتوقع لها الخلاص بغربة .

---

(١) ب : لرعام . (٢) أيضاً : عن . (٣) أيضاً : حرصه ولحسه .
(٤) أيضاً : لن . (٥) مه و ص : تلك الغربة . (٦) ب : متبرأ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى بلاد لم [1] تطأها أمثالهم أي مفارقة البدن بالكلية والمصير الى العالم العقلي الذي هو منزّه عن أن يكون موطناً لأمثال تلك القوى .

واذلات حين [ورقة ٩٢ ب] تلك من غربة أي ما دمت لم تحن لك حين تلك الحالة ولا معدل لك بعد عن هذه القوى فدبّر أمر نفسك تدبيراً تسلم معه من غائلة عن غوائلها ومعرّاتها - وذلك بأن يكون يدك فوق أيديهم وسلطانك وقوتك غالبة بسلطانها وقوتها من غير انقياد لها بوجه من الوجوه ، أو تخضع لغلبتها بسبب من الأسباب .

بل استظهر عليهم بحسن الإيالة أي كن رئيساً عليها وسائساً لها ، ومرتباً لأفعالها وحاملاً إياها على لزوم الاعتدال في متصرفاتها . فانك اذا قويت عليها استعبدتها وسخرتها لك ولم تستعبدك ولم تسخرك وعلوتها لغلبتك إياها ولم يغلبك .

(ومن توافق [2] حيلك فيهم [3] أن تتسلط بهذا الشكس الزعر على هذا الأرعن النهم ، تزبره زبراً ، فتكسره كسراً و [4] أن تستدرج غلو [5] هذا التائه العسر بخلابة هذا الأرعن الملق فتخفضه خفضاً .)

ومن توافق حيلك فيهم : أراد به أنّ وجه تدبيرك حتى تصل الى المراد المقصود أن تستعين بالقوة الغضبية الموصوفة بالشكاسة والزعارة على التسلط على القوة الشهوانية الموصوفة بالرعونة والنهم فتدفع غائلتها بها دفعاً فتكسر بذلك من قوتها كسراً .

وأن تستدرج غلوّ هذا التائه العسر أي وأن تستعين [6] بالقوة الشهوانية على إبطال القوة الغضبية لتخضع لك خضوعاً وتستكين [7] لتدبيرك استكانة .

(يتبع) محمد المدعو بصغير حسن المعصومي

(١) أيضاً : لن . (٢) أيضاً : نواقد (٣) أيضاً : فيها . (٤) أيضاً : أو .
(٥) م و ص : غلواء . (٦) ب : يستمن . (٧) أيضاً : تستكنّ .